

الصحافة والادب

ليس من دليل على انتشار الروح الادبي وازدهاره ، وإقبال الناس عليه ، اقوى وأوضح من الصحافة اليومية وقد فتحت له صدرأ رجياً ، ولسنا في حاجة الى التبسط في ذكر عناية الصحف بالادب واهتمامها به ، لان رسائل الادباء التي ترد تترى على ادارات الصحف وهي حافلة بضروب شتى من البحوث تنشر تباعاً ، هي البرهان القاطع على الانتشار والازدهار ، انما حاجتنا أن نعرف هل الادب — وهو فن معرفة الحياة — تغفل في نفوس أصحاب الصحف والمهيمين على تحريرها كما هو متغلغل في نفوس الأدباء والمتأدين؟ وهل عناية الصحافة بالأدب مجرد إنسياق تجاري يرضي القاريء من جهة ويدر الربح على صاحب الجريدة الذي يستغل ميول الناس وعواطفهم من جهة أخرى؟ وهل صقل الادب نفوس الجميع - العارض والطالب - وهذب اذواقهم وبلور أحاسيسهم ، وأرهم غرائزهم ، ونشط عقولهم ، وحفز فضائل القوى الكامنة التي أدخرتها الطبيعة في نفوسهم لتظهر بالمظهر الدال على المعرفة ، والمعرفة أسمى صفات يتحلى بها الانسان، وهل حرراً

الادب نفوس الجميع فجعلها صافية نقية تنظر الى الحياة بمنظار أدبي صاف نقي ، أو ان التمشي مابرح يغبش صفاءها ويغمش نقاءها ؟ وبعبارة أصرح وأوضح ، هل للصحافة سلطان مستبد ظالم على الادب والادباء كما لها من سلطان جبار قاهر على أصحاب الرأي والفكر من غير الادباء ؟

حوادث ثلاث دعنتني الي اثاره هذه المسألة: الاولى

(١) أخرج الكاتب الفرنسي ليون دوديه ، المعروف في الاوساط السياسية والأدبية وهو من زعماء الحزب الملكي في فرنسا كتابا عن « المرأة والحب » فتناوله صديقه موريس بوجو ، وهو ساعده الأيمن ونصيره في بث دعايته الحزبية بنقد شديد نشره في جريدة « الاكسيون فرانسيز » التي يشرف على تحريرها ليون دوديه نفسه

المسألة الثانية « وضع الكاتب الاشتراكي » اوجين دابت قصة جديدة تؤيد المذهب الاشتراكي ولكنها لا ترضي الادب والفن فكان من صحيفة « موند » الاشتراكية أنها ميزت بين المبدأ الحزبي والواجب الادبي ونقدت القصة باخلاص وصراحة فاسرع الكاتب يشكر رئيس تحرير الجريدة ويبيدي خلاص إعجابه بموقفه الذي فصل به بين السياسة والادب ودافع عن

(١) عن كتاب صوت الجيل لابراهيم المصري

حرمة الادب وحرية واستقلاله »

أما المسألة الثالثة فهي مقال كتبتة في نقد عمل أدبي لرئيس
إحدى الصحف اليومية فاعيد إلي ، بحجة « أن ليس من اللياقة
والذوق نقد زميل نحرص على زمالته » اهـ

أوردت تفصيل الحادثتين الاوليين للاستدلال بهما على الحادثة
الثالثة ، ولا ظهر البون المشاسع بين صحافتنا وصحافة الغرب ،
والفارق العظيم بين ضيق صدر كتابنا وسعته عند الامم الحية ،
وكيف نحقق الفكرة عندنا بادعائنا الذوق واللياقة والحرص
على الزمالة !

لا يسعني وأنا في هذا المجال إلا أن أقول أن مجالات الادب
واسعة ، وخطوات أدباء الشباب جريئة وصادقة إلا أنها لا تكافأ
مع « حنجلة » أصحاب الصحف والمهيمنين على تحريرها ، وأن
الحرية الادبية ما انفكت القيود تهيض أجنحتها والسلاسل تغل
أعناقها ، والتقاليد البالية تشوه جمالها ، ولا يسعني أيضاً إلا أن
أرجو من أصحاب الصحف بالحاح والخاف أن يطلقوا الحرية
لاقلام النقاد ، فالحرية وحدها تضبط النزوات وتكبح جماح
النفس ، وتهدى بوحى منها إلى السبيل السوي ، وهي وحدها
تنطق الكتاب بالصدق وتلجم اللسانة والاقلام عن التجني وعن
التعسف أيضاً، فكما أن الادب ترجمان الحياة الصادق ، فالحرية

لسان الادب الصادق الامين ، فان لم تفتح الصحافة صدرها
للادباء والنقاد ، ولكل نوع وشكل من أنواع النقد واشكاله
يبقى الادب مغلولاً وتبقى نهضتنا متيدة مشوهة .

فكرى أباطرة توفيق هبيب

أعود بالحديث عن الأدباء الذين لا هم بشباب ولا بشيوخ
فأقول كتب فكرى أباطرة مقدمة لكتاب « رحلة الصيف »
لواضعه « صحافي عجوز » كاتب هوامش الأهرام المعروف، نما
بها نحو بارعا في تصوير المؤلف ووصف شخصيته وإبراز ما فيه
من مزايا بأسلوب تقريرى بسيط خلو من التعرر والمحسنات اللفظية
واففعال الاسجاع البتة التي قرأنا نماذج منها في مقدمات شعراء
الشباب ، ولعل روح الفكاهة المتأصل في نفس الأستاذ أباطرة
والملازم له في أكثر مواقفه العامة، المرفرف دائما على كتاباته هو
الذي جعله ينثني عن الكتاب ويتناول شخصية مؤلفه فيفيض
عليها أشمة وظلالا ويسبغ عليها صفات ومزايا . وروح الفكاهة
هنا جعله « يجبر بخاطر » المؤلف ويداعبه بقوله له « الدهن
بالتعاقبي » ولان مجال القول الفكاهة في الصحافي العجوز واسع « ا
ان روح الفكاهة الذى يداعب ويمازح ولا يفاض ولا يخاصم
لا يمكن إلا أن يلزم الأستاذ أباطرة الكاتب الفكاهة إزاما قهريا إلى
الاعراض عن المجابهة الصريحة والالتواء عن الكتاب تفاضيا

عن موقف الجدل والتعلق بالكاتب نفسه والتلويح بمكانته بين الكتاب « المحضرين » والأشارة الخاطفة إلى الفروق بين كتاب الصحف في العهدين القديم والجديد قائلا « يمتاز صحفيو العهد القديم بأنهم كانوا يمتزجون بالبيئات والأوساط امتزاجا تاما فدراساتهم كانت دراسات ببيكولوجية عميقة وليس هذا شأن صحفيي اليوم الذين يذهبون إلى مكاتبهم فيكتبون كتابة الاستنتاج والاستلحاق لا كتابة الامتزاج والاختلاط »

والاستاذ أباطه الكاتب اللبق الذي يلجمه روح الفكاهة عن مجابهة الحقائق ويازمه النظر إلى الحياة « نظرة باسمه » (أقول نظرة باسمه لا هازئة ولا ساخرة لأنه ليس في كتاب العربية من يجيد هذا الضرب العبقري) لا يجرؤ فيقول لمؤلف كتاب « رحلة الصيف » أن كتب الرحلات تمتاز باللمحة والمعاني والمراقبة والاستقراء والاستنباط والاستنتاج والوصف الدقيق وأن هذه المزايا معدومة أو هي غير موفورة في بحوث الكتاب ويأبى إعلان هذه النقائص البادية في الكتاب فيتخطاها إلى شخص الكاتب فيتكلم عن « الصحفي المجوز » وبساطته ويعترف له بأنه « حين يكتب إليك لا يكذب عليك » « وأنه مصري بمعنى الكلمة وأنه « خزنة تاريخية » لا يحتاج إلى مقص ولا إلى نسخ ولا هو « مقصدار » وأنه في كتاب « رحلة صيف » لا يهوش على قرائه بالتعليقات الطويلة

لا تنس أن الأستاذ أباطه « محام أهلي » وأن الأدب صفة
عارضة عنده، قد تتمر كز وتتمعد حسب الظروف وقد تنزل
وتندك وفق المناسبات ، ولا يفوتك أن كثيراً ما يستعين المحامي
بالسجايا والمحامد والأخلاق يفتعلها لموكله يغشي بها على عيون
القضاة يدفع بها شدة القانون ويستجدي بواسطتها رأفة القضاة ،
وقد تكون براعة المحامي أباطه أمدت تأدبه بنجدة من الطراز
« الافوكاتي » فسطرت مقدمة هيمنت بها على عقول
القراء فجعلتهم يصدقون أن الصحافي العجوز ليس صوتاً
خارجاً من قبر ولا كاتباً تلوح له صور الموت وأشباح
الفناء فيدب اليها ساخطاً على الموت حانقا على الشباب متبرما بالعجز
بل هو « كاتب دقيق الملاحظة لمأح خبيث يقفش القفشة ويبسطها
بسطة متواضعا ممزوجا بالسذاجة الطفلية فيفهم الطيبون (الطيبون
فقط) من القراء أنه لا ينفث السم الزعاف » .

ألست تحس وأنت تقرأ كلام أباطة في « عجوزه » أنه
مدسوس مدخول على لغة الأدب مستمار من (حقلطة) المحامين
مستمد من « الحثيات والمذكرات » المألوفة في لغة المحاماه ؟ أنه
ليخيل إلي أن لو كان كاتب مقدمة كتاب (رحلة صيف) في
موقف الناقد النزيه أو موقف الخصومة لقال في (عجوزه) أنه
كاتب رحالة مقعد يصف وهو مسجى على نقالة ما يراه يمر

حاملوها في الشوارع الواقعة بين الفنادق ومحطات سكة الحديد
وبعض المحال العمومية فان وصف ، فانما يصف النقاله والنقالين
والمشاهد البسيطة التي شاهدها وهو محمول في الطرق العامة ، ولو
أزموه البيئة على ذلك لاقتبس أية فقرة من هذا الكتاب
كالفقرة التالية مثلا

« الباخرة أنقره تسير في هدوء واتزان واطمئنان بين أزمير
ويبريه وقد عاد الصحافي العجوز إلى رواية أكل وشرب ونوم .
وليس في الباخرة مصري واحد ولكن الصالون وغرفة المائدة
في الباخرة خير وسيلة للتعارف وكان أول من عرفتهم في الباخرة
أنقرة فتاة إسرائيلية تركية هيفاء دعجاء قالت انها آتية من
استامبول إلى أزمير وهي مسقط رأسها ونزلت فيها ثم تعرفت إلى
عائلة تاجر يوناني اسمه رومولوجو مؤلفة من ثمانية أشخاص بين
رجال ونساء وأولاد ولم يكن في النية النزول إلى أزمير ولكن
هذه العائلة الكريمة أثبت إلا أن أصحابها في زيارة المدينة الخ الخ »
ألست تقرأ في هذا الكلام المنقول بنصه من كتاب « رحلة
صيف » لصاحبه الأستاذ توفيق حبيب الملقب « بصحافي عجوز »
الدليل القاطع على أنه كاتب رحالة مقعد أو دو في حكم المقعد
يصف المرثيات وهو مسجى على نقفالة؟ ألست تجد أيضا أن كاتب

المقدمة نحا نحواً بارعاً في الالتواء والنهرب من القول الحق ؟
لعمرى أن ذلك نهرب من الأستاذ فكري أباطه كان في



استطاعته وهو
البارع اللبق أن
يقدر الكتاب الذي
كتب مقدمته ، تقدير
رجل خبير لا يضيره
أن يثمن الساعة التي
كلف تسمينها ، وليس
عيباً منه أن يضع
الكتاب في المكان
اللائق به ولكن
صناعة الحمامة من
ناحية ، وتأصل روح

الفسكاهة فيه من ناحية أخرى وعدم تحرر النفس الأدبية عنده
تفسد عليه حتماً مواقف الجد والنزاهة وقول الحق وتضطره إلى
الكناية والإشارة والتلميح ، والصدوف عن القول الصريح الحر
وهذا ما يحدو بنا إلى إبقاء الأستاذ في «المطهر» حتى يؤون أو ان
نقله إما إلى جهنم الشباب أو إلى جنة الشيوخ ولكنه إلى هذه
أقرب وأصلح

انظرونه الجميل — اصمير الصميري محمد

يعتقد انظون الجميل بك انه كاتب ناقد . ويصر على أنه أبعد الكتاب عن المغالاة والاطناب ، يلح ويلحف ، ويحاج ويؤكده انه ضنين الضن كله في إعطاء الانسان أكثر مما يستحق . ووصف الاديب بغير الصفات والمكات البارزة فيه ، ويقول أيضاً انه درس وحال شخصيات طائفة محترمة من أفذاذ الشعراء امثال ولي الدين يكن وطانيوس عبده واحمد شوقي وخلييل مطران قوفاهم حقهم كاملا من النقد الكامل ، اي قال فيهم ما لهم وما عليهم . وأبرز بوضوح نواحيهم كلها بدون تردد ولا محاباة ، ويقول أشياء أخرى لو صحت ، لكنت خليفة بان تضعه في طليعة البانين بناء النقد الادبي في مصر ولكان جديراً بان يكون في مقدمة رواد هذا الفن .

ليس يعنيننا ما يقوله الانسان عن نفسه ولا ما يتوهمه في صفاته بقدر ما تعنيننا معرفة الناس لذلك الانسان وتقديرهم صفاته وملاكاتة .

فانظون الجميل أديب عرفته الاوساط الادبية قبل الحرب الكبرى وعرفت فيه الخطيب المفوه لجمعية الخير واجتماعات المدارس وحفلات الرثاء والتأبين ، وعرفت فيه المكاتب



البيوغرافي يحلل
شخصيات الشعراء
والادباء والاحصائي
المدقق « الحالات
الجوع والمجاعات »
والمؤرخ البارع
« للطائفة المارونية »
والباحث في
« التسامح والاقتصاد
والنظام المنزلي »

والمؤلف روايتي « أبطال الحرية » « والسموأل » والشاعر الذي نظم
الشعر باللغة الافرنسية ونسبه مع كل ما نسي من حوادث حياته
كلها قبل الحرب !

عرفته الاوساط الادبية وعرفت فيه كل هذه الصفات
والخلائق والسجاسيا قبل ان عرفته رئيساً لتحرير أقدام جريدة
تصدر في مصر ، ولست أزعم اني سأعرض لشخصية الرجل التي
لا يستها الحالات كثيرة الشباب التي ذكرت ، ولا الى الطاريء
السياسي الجديد الذي طرأ عليه ، انما أحاول تلمس طابعه والتعرف

على لونه الادبي من ناحية كتابة مقدمات المكتب لانها وحدها في نظري كفيلة في إظهاره على حقيقته فمينة بتوضيح نوع معدنه ومميز وعيه وادراكه وهي التي تدلنا على مقدار تحرره الفكري واندماجه بالروح الادبي . كتب انطون الجميل مقدمة لكتاب «ماقل ودل» لمؤلفه احمد الصاوي محمد قال فيها كلاما يدل على أنه لا يعرف الصاوي ، ولم يكلمه ولم يختبره قط أو انه كان يقصد حين كتب تلك المقدمة شخصاً آخر ليس ثمة شبه أو صلة بينه وبين الصاوي قال فيها « ليس مؤلف هذه المجموعة ، ولا مجموعته هذه ، في حاجة الى التقديم . أما المؤلف فقد اقتعد مكانه في عالم الكتابة بما أنتجته قريحته من التصانيف الطريفة . واما هذه المجموعة - وهي منتخبة مما يكتبه كل يوم في «الأهرام» بعنوان «ماقل ودل» - فقد عرفها القراء قبل ان تضمها دفئا هذا الكتاب

« لهذا كان المؤلف في غنى عن التقديم والتعريف ولكن الاستاذ الصاوي - على ما في كتابته من جرأة ، وعلى ما في آرائه أحياناً من تطرف - رجل يغلب عليه الحياء فلم يكن بد ، والصاوي حبيي خجول ، من ان يتقدم أحد أصدقائه فيأخذ يده بيده ، ويأخذ كتابه باليد الاخرى ، ويقول للقراء « هذا الصاوي ، وهذا كتابه » !

إكتشاف غريب وبشرى جديدة يزفها الجميل بك لقراء

العربية ، لقد اكتشف سرّاً هائلاً ، لقد اكتشف شاعراً عبقرياً
وأديباً موهوباً كما اكتشف ايليا أبي ماضي من قبل ، لقد اكتشف
ما هو أعظم من شاعر عبقرى وأديب موهوب .. لقد اكتشف ..
ماذا اكتشف ؟؟ . . . لقد اكتشف «الحياة» في احمد الصاوي
محمد ، ولم ير محيماً بعد هذا الا اكتشاف المهول « من أخذ يده
بيده الواحدة وكتابه في اليد الثانية ليقول للناس : هذا هو
الصاوي ، وهذا هو كتابه !

حياة الصاوي اكتشاف لا يفوز به سوى أنطون الجميل ،
ولا يوفق اليه أحد سواه ، ولا يظفر به غيره ، والحياة شيء عظيم
لا تدركه سوى نفس حية عظيمة . . . ولكن ما بالك والصاوي
ليس بحى ولا هو من الحياة بشيء ؟

لقد أصدر الصاوي كتباً هي ، تاييس ، الزنبقة الحمراء ،
أفرووديت ، وفي الحياة والحب ، وهي بين مترجمة وملخصة ،
وأصدر أيضاً كتاب باريس وهو مجموعة لكثير مما كتب الادباء
من شرقيين وغربيين عن هذه العاصمة العجيبة ونشرها بين
الناس بكل بساطة ، بدون ما حياء وخجل وبغير حاجة إلى « من
يأخذ يده بيده الواحدة ويأخذ كتابه باليد الأخرى ويقول
للقراء هذا هو الصاوي وهذا كتابه »

توهم الجميل بك « الحياة » في الصاوي أو اكتشف هذه

العبقرية الجامعة على صدر صاحبه

والحقيقة اني لا تمارى هي أن الصاوي ليس بحبي ، ولو
كنت أعرف كلمة ناعمة مهذبة ضد كلمة الحياء لآتمس الكرامة
الشخصية لذكرتها لأدلل على أنه ليس بحبي ، وما دمت لا أعرف
إلا كلمة أتمحشى كتابتها فلا أقل من إقامة الدليل للمادي على أن
الصاوي ليس بحبي ، وان الجميل غير صادق في إطلاق صفة الحياء
عليه ، إسمع ما يقول الصاوي في إعلانه عن كتابه الجديد « الملك
الشاب »

١ — « ثغر زوجي كزهرة اللوتس ، نهدها رمانة الحب ،
ذراعها حيتان مقدستان تلتفان حول عنقي فيبسم لي القدر . . .
أما جبينها الناصع ففيه سر الهوى » !
أي رجل في العالم ، همجي أو متحضر ، يقول في زوجه مثل
هذا القول ؟

٢ — « إذا ما سمعت صوتك فهو الرحيق يسكرني ويشجيني
وأني لا أعيش من سماعه . . . وإذا ما رأيت وجهك فان كل نظرة
فيك هي عندي خير من ألد طعام وأذكي شراب . . . هنا أزهير
وفيرة أعد لك منها فراشك حتى تعود فتنام فأسهر قريرة العين
إلى جانبك حتى الصباح . . . قربك مني هو صحتي وشبابي »
أي فتاة تقول مثل هذا القول لخطيبها ؟

٣ — « في تلك الليلة يضاء ما حول القصر بالمشاعل تحملها الجنود كأعلام من النار رمزاً لأفراح الملك الظافر... وتعزف الموسيقى... ويفرشون خدر الملكة بالزهور، ويطلقون البخور، وينضحون فراشها بالعطور... ويضيئون المصباح الذهبي، نوراً على نور... ويدخل فرعون »

هل وجدت أيها القارئ، فيما اقتبست لك من جمل الاعلان الذي يوزعه الصاوي في المقاهي والبارات والصالونات وفي الشوارع ما يدل على « الحياء » هل وجدت فيه غير كلام السوقه وتعابير السفلة للتشويق وإثارة الشهوات الجنسية؟

لم يكتشف الجميل صفة الحياء عند الصاوي صدفة، ولم يكادح الدهن في استنباطها، انما أستشعر بها استشعاراً جناباً

كان يدخل الصاوي غرفة رئيس تحرير الاهرام هادئاً، يقدم خطوة متتدة ويتبعها بخطوة هادئة، وعند ما يبلغ المكتب يقف وهو منكب الرأس خافض النظر، جامداً كالصنم ينتظر حركة من سعادة الرئيس ليقول له (بونسوار اكسلانس) مشفوعة بابتسامة خفيفة ويقدم له ما كتب للجريدة

يقول الجميل ان حركة الصاوي هذه هي الحياء بعينه، وإنها بعيدة عن الثعلبية بعد الثعلب عن الصاوي
ويقول الجميل بك بدعة أخرى عن الصاوي :

(انه نزوع الى الحياة البوهيمية) ونحن نسأله هل تتفق
نزوات البوهيمي وشدوذه وبدواته ومردده على التقاليد والعادات
مع طبيعة الحياء ؟

حقا ان في مقدمة الجميل لكتاب ما قل ودل من الغرائب
والمتناقضات والادعاءات والمفارقات ما يجعلنا نعتذر لادباء
الشباب مغالاتهم ونحمدنا لهم لان اضرارها على كل حال لا تربو
على اضرار هذه الترهات التي نتحاشي تعليلها

يقول الجميل بك عن نفسه انه أديب ، وانه طرح الوظيفة
ليتفرغ للادب ، وانه أرغم على خوض غمار السياسة ارغاما ،
وان جل ما تتوق نفسه اليه خلوة صوفية في حديقة قصره
بصحبة كتاب جديد ، ونحن نرى في ادعاء الاستاذ بعض الصحة
لا الصحة كلها ، ونصارحه القول بانه أديب من النوع الطبع
اللين ، وأنه سوف لن يصلب له عود للادب ، لانه الحياة ، وأن
الحياة لا تطيب في مصر والشرق إلا للاديب أو المتمرد المنافع
عن الحرية التي هي عصب الادب ، نعم أن الجميل بك أديب إنما
من النوع (الغاز) بتشديد الميم يشبه رجلا مشبوب الشهوة ،
يحاول مغازلة امرأة يريد لها لنفسه فيغمزها بطرف عينه غمزة
لا يحسها جفناه ويسكت ... حاسبا كل ضروب المغازلة وما يليها
من غايات لا تقوم إلا على الغمز وحده . فشهوة الجميل بك الادب

إنما هي شهوة غمازة فقط لا تنفع الجميل ولا تفيد الأدباء والمتأدبين
الغمز إحدى خلائق الأديب المثلث إذا استطاع به الغامز أن
يترك أثراً بارزاً في المغموز ، أما الغمز الخاطف السريع غير
الملوح الصادر عن طبيعة غير متمردة كطبيعة أنطون الجميل نفورة
من الخصومات الأدبية تؤثر الغمغمة على التصريح ، ان غمزاً كهذا
لا قيمة له البتة ، فان كان له ثمة من أثر ضئيل فانه لا يتجاوز أثر
دخان لفاقة من التبغ يتطاير مع الريح بلحظات معدودات

يعتقد الجميل أنه غمز الشاعر أحمد شوقي غمزة هدمت أركان
شعره وقوضت بناء صرحه بقوله فيه أنه « شاعر الامراء »
ويؤكد أنه بقوله هذا انكار صارخ وتمرد فظيع على لقب
(امارة الشعراء) الذي تمتع به شوقي حتى موته . ولكن هل درى
أحد من الناس ما رمى إليه الجميل بقوله عن شوقي بعد موته أنه
(شاعر الامراء) وهل فرق أحد بين (شاعر الامراء) وأمير
الشعراء (إلا أفراداً قليلاً من خاصة الادباء ؟

في ختام المقدمة الجملة التالية « بعض مقالات « ما قل ودل »
وليد الحوادث اليومية العابرة يذهب معها وينطوي بطيها ، والبعض
الآخر يتناول موضوعات اجتماعية وخلقية وقومية ثابتة لا تضع
بمهبها ، ولا تبلى جديتها . فسألته تخير طائفة من هذا النوع

الأخير وجمعها في هذا الكتاب ، فكنت مستولاً عن تقديمها
اليوم للقراء »

لم يكتف الجليل بك بما غالط فيه القراء وباعد بينهم وبين
حقيقة وواقع الكتاب الذي قدمه ، لم يكتف بما قاله اعتباطاً في
الصاوي فجاء هذا ينقض قوله وينفي دخيلة « الحياء » على طبيعته
ويبرهن على أن الجليل لا يحسن التقدير ولا التعرف إلى نفسيات
الأقربين إليه ، لم يكتف بذلك بل جاء متطوعاً يتحمل
« المسؤولية » عن تقديم الصاوي للقراء ويستعين بالمسؤولية ذاتها
لذلك ثبت هنا المقال التالي وقد نشرناه في جريدة المقطم عقب
ظهور الكتاب :

لكل كاتب شخصية وطابع وأسلوب تدل عليه وتم
على طوية نفسه ، والأستاذ أحمد الصاوي محمد واحد من
هؤلاء الكتاب لا ينفك يطلع على القراء صبيحة كل يوم
بكلمة في « الاهرام » يحاول إقناعهم بها بأن له شخصية
وطابعاً وأسلوباً

غير أن نفسية الناقد جامعة بنفطرتها قوية الشكيمة بطبيعتها
لا تستهويها الحركات والاياءات ولا تؤثر فيها كثرة الترداد
ولا تكرار الاسم ، ولا أحسب ناقداً في مصر يتأثر بشخصية مؤلف

ما من كثرة تكرار اسمه بل يتأثر حقيقة بما تركه كتاباته في نفسه
من معان تدل على أن لخصائصه قيمة ووزنا

لا يطلب من القاريء العادي معرفة معايير شخصية
الكاتب ولا أقيسة طابعه واسلوبه كما يعرفها النقاد ، إنما يجب بل
يتحتم على الناقد ان يدل القاريء عليها ، لالعلمه أوضاعها الفنية ،
بل ليظهر له عناصر القوة او الركاكة ، الحسن أو القبح ، السمو
أو الانحطاط في خصائص الكاتب

يقع كتاب الصاوي في جزءين فيها أربعمائة وثمانون صفحة
من القطع الصغير عنوانه « ماقل ودل » وأحسب أن ذكر
العنوان وحده يكفي للدلالة على شخص مؤلفه لكثرة ما تلوك
الاسنة اسمه صباح كل يوم

لم يلق هذا الكتاب الترحيب الذي كان يتوقعه كاتب مثل
الصاوي يملا الارض والسماء عجيجا وإعلانا عن كتبه قبل جمع
اصولها وطبعها وعرضها ، ولم يحفل به البتة كبار النقاد أمثال العقاد
وطه والمازني وهيكل والمصري ومظهر بل أهملوه إهمالا كليا ،
ولولا كلمة نفيسة قالها الاستاذ عباس حافظ في نقد الكتاب
وتحليل نفسية مؤلفه وكلمة طيبة أخرى كتبها أديب من
الاسكندرية سلك فيها مسلك الناقد النزوية في إظهار الحسنات
والمساوي ، ولولا مقالات كتبها بعض المتزلفين المدآحين أطروا

بها المؤلف وتغزلوا بمظهر الكتاب وأناقة طبعه وصقالة ورقه ثقلنا
مقايضة تمت بين مؤلف « شاطر » وقاريء عادي بسيط لم يدور



النقاد بها وفاتهم
أخبارها

لأحسب

أغفال كبار
النقاد ، ولا حملات
الادباء الموقفة ولا
امتداح المترلفين ،
تقلل من قيمة
مؤلف الكتاب
فلاستاذ الصاوي
كاتب معروف عند

قراء الاهرام وهم كثير ، وله في نفوس بعضهم — ولا شك —
منزلة ، فلاغفال وحده من جانب النقاد لا يوضح شخصية المؤلف ،
ولا يعرف طابعه توضيحاً وتعريفاً صحيحاً وكذلك حملات
كاتب أو كاتبين وهراء جماعة من المترلفين المدّاحين لا تكفي
وحدها لمسح الطلاء عن خصائص المؤلف وإظهارها بمظهرها
الطبيعي ، انما اعتقد أن الواجب المفروض على كبار النقاد هو أن

يدلوا القارىء، على قيمة كل كتاب جديد ، سواء كان مؤلفه من المغمورين أو المشهورين حتى لا يقال أنهم ينقدون مدفوعين أو يسكتون وهم مكافون السكوت

أني أنزه كبار النقاد عن ذلك وأمكن مواقفهم في المدة الاخيرة وحماتهم الصادقة وغير الصادقة على أدباء الشباب ندعونا الى مطالبتهم بالمزيد ، أقول المزيد ولا أطلب الانصاف لأن صناعة النقد لم تتحرر بعد من قيود المحاباة وغيرها ، ولأن الانصاف أمر نسبي !! ولأن القراء وأخص منهم الشباب بدأوا يقابلون ويوازنون بين نقد الناقد ونتاج النقود ، فيميلون إلى ناحية قائل الصدق وينحرفون عن غير الصادق

رب قائل يقول ان المنزلة التي للصاوي عند قرائه لا تقوى حملات النقاد على زحزحتها لأنها قائمة على قواعد « الأهرام » الوطيدة المحصنة المدرعة ، ورب معترض آخر يقول ان بضاعة الصاوي الأدبية تصادف سوقاً رائجة عند جماعات تؤثر بالبحوث الخفيفة على الدروس الرصينة . أما أنا فلا أنازع في ذلك لكنني أقول أن سلامة نية القارىء يجب أن تكون بعيدة عن مواطن الاستغلال ومتناول الاستغلاليين ، وان مقام الناقد النزيه المخلص لفنه هو كمكان النائب العمومي المفروض فيه الحرص على الحق العام والسهر عليه ، أما إذا ترك « الشطار » من الكتاب على

طويتهم الاستغالية ، وتقايس النقاد عن نقد كل كتاب فهناك
الحياة الادب والفن وهناك البرهان على أن النهضة الأدبية زائفة
وأن كل كتاباتنا وخطبنا ومؤلفاتنا هراء في هراء وأن صلة
الكتاب بالقارىء هي كصلة التاجر المحتكر الذي يبغى الكسب
الوافر من الشاري المحتاج ، وعندها تمتفي ادعاءات الكتاب وكبار
النقاد انهم حملة رسالة الاصلاح والتهديب وأساتذة الأخلاق
والتعليم ، بل يصح أن يقال عندذاك في تعريف الأدب أنه أداة
من أدوات العرض والطلب لأكثر ولا أقل

ليعذرني كبار النقاد ان قلت أني لا أجد في سكوتهم عن
المؤلفين سواء كانوا من مستوى الصاوي أو أسمى أو أدنى منه
سوى المعنى الذي لا يشرف النهضة الأدبية والذي يثلم حتما سمعة
الادباء والنقاد .

والآن ما ضرنا لو قلنا أن الصاوي كاتب أقعد به الترف
وحب مظاهر الارستقراطية عن البحث الجدي والاستقراء
الرصين والفوص في الموضوعات التي تعبر عن حاجات القارىء
وشكاواه من الامراض الاجتماعية ؟

ما ضرنا لو قلنا حبا في الصاوي أن مقالاته القصيرة محبوبة
بخيوط الدجل والتمويه منطوية على الغرض هائمة مع النزوات

خالية حتى من مسحة الصدق والامانة

ما ضرنا لو قلنا له أنه أصبح يسف في موضوعاته وينحط إلى مستوى الدهماء فيكلمهم بلسان لا هو بلسانه ولا هو بلسانهم فيترقوا عنه كأنهم لم يجتمعوا به ، ويعود هو إلى نفسه فيجد كأنه لا أخذ من القارىء ولا أعطاه شيئاً ؟ !

ما ضرنا لو صارحناه بأن الكتاب الاجتماعي المصلح هو الذي يجتذب القراء إليه ليرفع بهم إلى مستواه لا أن ينحط إليهم فيضيع في تيه معهم

ما ضر الصاوي لو عرف أنه لا يفقه سوى الظواهر في حياتنا الاجتماعية فيعالجها معالجة « ترجمي » متمرن لا معالجة طيب حاذق

ما ضره لو عرف أنه عاجز عن خلق بحوث بقوة خياله وعواطفه شأن الكتاب الاجتماعي القدير وأن المشاهد « الهايفة » التي يتناولها بقلمه « الهايف » تتناثر في الهواء كأنها لم تكن

ما ضر لو قلنا للصاوي أن جمعه مقالات وضعت في الأصل لتكون وؤوس موضوعات خفيفة تنشر في صحيفة يومية يعتبر استخفافاً بعقول القراء واستخذاء بهم وان ليس كل ما يكتب وينشر يجمع ويطلع في كتاب ؟ !

كنت أود أن أتناول أبواب الكتاب التي قسمها إلى

قوميات وأديبات واجتماعيات ووجدانيات وشخصيات واندعات ،
لأدلى على اللين العقلي ، والعجز الذهني ، وهجس الخاطر ، والمياعة
السمجة ، والوطنية المريضة ، والحس المتحجر ، والشعور الميت ،
أود ذلك ولكن ليس من شأن الناقد أن يجلد بالمؤلف وجه
الأرض بل عليه أن ينصح القراء — لوجه الألب — بأن
كتاب « ما قل ودل » يصلح أن يلقي في سلة المهملات لا أن
يكون في مكاتب القارئات والقراء ، وأخيراً كنت أود أن
يبعث الناقد معي عن شخصية المؤلف وعن طابعه وأسلوبه لأني
حاولت عبثاً العثور عليها في كتابه الميت
عسى أن يتدبر الصاوي الحقيقة إذا كان من طلاب الحياة الأدبية
وليت انطون بك الجميل يقدر الصراحة ويهمل الغمز الخاطف

طابع أدباء السبوع

محمد مصطفى وهبيل - عبر الله عنانه - صنفى عبون

ان القصد الذي قدمناه في كتابة هذه النصول ، والغاية
التي صبونا إليها هي الاستعراض والمقارنة والموازنة ، بها نستدل
على طابع أدباء الجيل الجديد ممن يحملون رسالة الألب ، ومنها